محمد خليفة حسن

رحيل إبراهيم الدسوقى شتا

مترجم «مثنوى».. وأستاذ الدراسات الإيرانية

رحل عن عالمنا فى السابع عشر من الشهر الماضى (يوليو)، واحد من علماء مصر الكبار فى مجال الدراسات الشرقية عموما، وفى مجال الدراسات الإيرانية على وجه الخصوص، وهو الأستاذ الدكتور **إبراهيم الدسوقى شتا** رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، وعضو المجلس الأعلى للثقافة.

كان الدكتور إبراهيم غزير العلم واسع المعرفة، كما كان باحثا مدققا ومحققا أمينا وصاحب رؤية علمية ثاقبة، جعلت منه واحدا من كبار المتخصصين فى مجال الدراسات الشرقية فى العالم العربى. وقد اعترف له بخبرته فى هذا المجال من جانب العديد من المستشرقين فى الغرب، ومن علماء إيران، وبلدان العالم الإسلامى.

ومن الأعمال العلمية المهمة التى وضعها الدكتور إبراهيم ويمكن لها تأثيرها على الدراسات الشرقية وعلى الدراسات الأدبية الفارسية والفكر الإيرانى، المعجم الفارسى العربى، الذى اشتغل فى إعداده لمدة تزيد على عشرة أعوام، وهو من المعاجم الأكثر استخداما الآن، وقد سد نقصا كبيرا فى مجال صناعة المعجم الفارسى، كما قدم به خدمة جليلة للعلم والعلماء. وقد عكف فى السنوات العشر الأخيرة على ترجمة أحد الأعمال الشرقية العظيمة وهو (مثنوى جلال الدين **الرومى**) حيث قام بترجمته وشرحه والتقديم له. ويعود الفضل إلى المجلس الأعلى للثقافة وإلى أمينه الأستاذ الدكتور **جابر عصفور** فى ظهور هذا العمل إلى النور. فهو بحق من أهم إصدارات المشروع القومى للترجمة وأضخمها حتى الآن، حيث يقع العمل فى ستة أجزاء كبيرة، يصل حجم الجزء الواحد منها إلى حوالى ستمائة صفحة. والكتاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترجمة كاملة ومشروحة عن النسخة التى حققها الدكتور محمد استعلامى فى طهران. وقد راجعها ايضا على الطبعة المصورة عن مخطوطة قونيه بطهران، وطبعة نيكلسون، وطبعة جعفرى، وغيرها من النسخ المخطوطة والمطبوعة لمثنوى جلال الدين الرومى.

وتعد الترجمة الكاملة التى قدمها الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا للمثنوى، مثالا يُحتذى به فى العمل العلمى المترجم. فقد سيطر الدكتور إبراهيم على مفاتيح الترجمة سيطرة تامة، فهو من علماء اللغة الفارسية الكبار ومن المتقنين العاشقين للغة العربية على مستوى الكتابة العلمية الجادة، وعلى مستوى الإبداع الأدبى، فقد كان الدكتور إبراهيم شاعرا ينظم القصيدة العربية، وروائيا يكتب الرواية والقصة القصيرة، وهو جانب غير معروف فى حياته الفكرية، حيث غلبت عليه الكتابة العلمية المتخصصة، فأصبح معروفا بها على حساب الإنتاج الإبداعى.

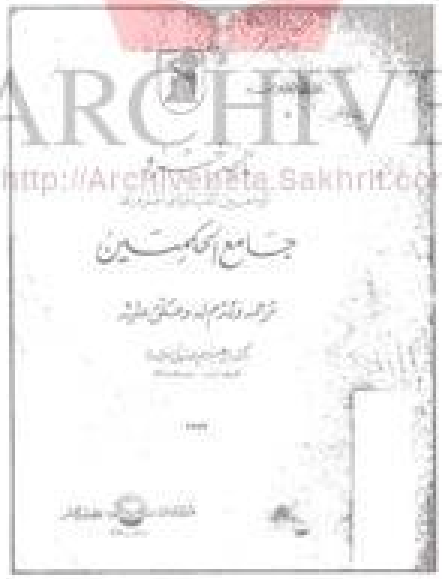

ويعد (المثنوى) من أصعب النصوص القابلة للترجمة، فهو نص صوفى معقد، لشيخ صوفى كبير المقام فى عالم الصوفية. والنص متعدد المستويات والأعماق وتكثر به المصطلحات الصوفية، ويعبر عن تجربة دينية صوفية عالية المستوى. وقد ترجم الدكتور إبراهيم المثنوى إلى لغة عربية جميلة رصينة حافظت على المعانى الأصيلة وقدمتها فى أسلوب عربى بليغ رائع ومن وجهة نظرى ستصبح هذه الترجمة عن قريب أحد الأعمال الكلاسيكية فى الترجمة عن الفارسية ومثالا يحتذى به. كما انها امدت المكتبة العربية بواحد من اهم النصوص الصوفية المهمة فى تاريخ التصوف بالإضافة إلى الدراسات والتحليلات والتعليقات التى زين بها الدكتور إبراهيم شتا ترجمته، لتصبح مصدرا كلاسيكيا ومرجعا اساسيا للدارسين والمتخصصين فى الدراسات الشرقية، وفى التصوف عامة.

ويعد الدكتور إبراهيم شتا احد خبراء مصر الكبار فى الدراسات الإيرانية الحديثة والمعاصرة. فقد كان من اهم المتابعين للتغيرات السياسية والدينية والفكرية على الساحة الإيرانية، وله فى ذلك عمله المهم «الثورة الإيرانية» الذى قدم فيه تحليلا فكريا رائعا لهذه الثورة، ومن آخر أعماله فى هذا المجال مقاله المهم بعنوان: (معركة المرجعية فى إيران) و(ولاية الفقيه فى مهب الريح) - مارس ١٩٩٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنذ بداية الثورة الإيرانية، اهتم الدكتور **إبراهيم شتا** بمتابعة دراسة التغيرات الطارئة على المجتمع الإيراني، فقدم في البداية تحليلا جيدا للجذور المذهبية والفكرية والقومية للثورة الإيرانية، موضحا العوامل الدينية في الثورة الإيرانية والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى انفجارها. إن الدراسات التي قدمها الدكتور **إبراهيم شتا** في مجال الثورة الإيرانية، تعد كلاسيكية في مجالها، وأصبحت من المصادر المهمة في موضوعها، ليس فقط عند القارئ العربي، ولكن أيضا لدى قراء العربية من المستشرقين وفي بلدان العالم الإسلامي، فهي أعمال يتوفر فيها الوعي العميق بروح الشعب الإيراني. وليس هذا بالغريب، فالدكتور **إبراهيم شتا** ليس كاتبا سياسيا، ولكنه عالم متخصص في آداب الإيرانية قديمها وحديثها، ومعالجته للثورة الإيرانية كموضوع سياسي ديني، تمت من خلال تعمق في الأدب الفارسي الإيراني، ووعي بطبيعة الشعب الإيراني وبروحه ومشاعره كما عبر عنها الأدب الفارسي في كل مراحله، والرؤية التي توصل إليها يصعب على غير المتخصص في الأدب الفارسي أن يصل إليها.

وقد واصل **الدكتور إبرهيم شتا** تحليلاته لمتغيرات المجتمع الإيراني، وخاصة بعد انتخاب **محمد خاتمي**، معتبرا أن إيران تمر في الوقت الحالي بمرحلة تحول تاريخي، لا يقل في مغزاه وتأثيره عن مرحلة الثورة الإيرانية، ويدفعه في ذلك العامل القومي والإحساس بوجود توجه إلى تحقيق تقارب مصري إيراني، وكما عبر عنه عن ذلك بقوله: «وحقٌ وطني علي أن أقدم رؤيتي» في المتغيرات الجديدة.

هذا في الحقيقة قليل من كثير، قدمه الدكتور **إبراهيم شتا** للعلم والوطن. وإنجازاته العلمية تحتاج إلى إقامة ندوة تتبناها إحدى الجهات الثقافية والعلمية، مثل المجلس الأعلى للثقافة الذي انتمى العالم الراحل إلى عضوية لجانه، وساهم في العديد من أعماله.

لاشك في أن الخسارة التي أصابت الدراسات الشرقية بوفاة الدكتور **إبراهيم** خسارة جسيمة، والأمل كبير في أن يواصل تلاميذه مشواره العلمي، كما أن الواجب العلمي يحتم عليهم أن يتناولوا أعماله بالدراسة والتحليل.

وعزاؤنا جميعا أن أعماله باقية وستتحقق منها الفائدة لكل المتخصصين والمهتمين بالدراسات الإيرانية. ونذكر منها على وجه التحديد (المعجم الفارسي) وترجمة (المثنوي) **لجلال الدين الرومي** وكتبه عن الثورة الإيرانية، والفكر الإيراني المعاصر. فهي أعمال لا يستغني عنها متخصص، وفيها زاد فكري لكل مثقف.

إن إسهامات الدكتور **إبراهيم شتا** في مجال الدراسات الفارسية والإيرانية سجلت اسمه في التاريخ، كواحد من أهم أعلام الدراسات الشرقية في العالم العربي والإسلامي.

رحم الله الدكتور **إبراهيم شتا**، الأخ والصديق والعالم المفكر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحيى محمد محمود

سر تخلف المصريين

صدر فى القاهرة مؤخرا عن المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم، من تأليف محمد عمر، قدم له بدراسة ضافية د. مجدى عبد الحافظ والكتاب هو الأول فى سلسلة من الإصدارات عن إعادة قراءة النصوص المنسية فى الفكر العربى الحديث، وقد طبع للمرة الأولى عام ١٩٠٢، ليحمل بين طياته رؤية أحد مستخدمى البوستة العموميين عن سر تأخر المصريين؛ وبإعادة طبعه للمرة الثانية فى نهاية القرن، هل يمكننا طرح السؤال نفسه للمرة الثانية بمعنى آخر: هل

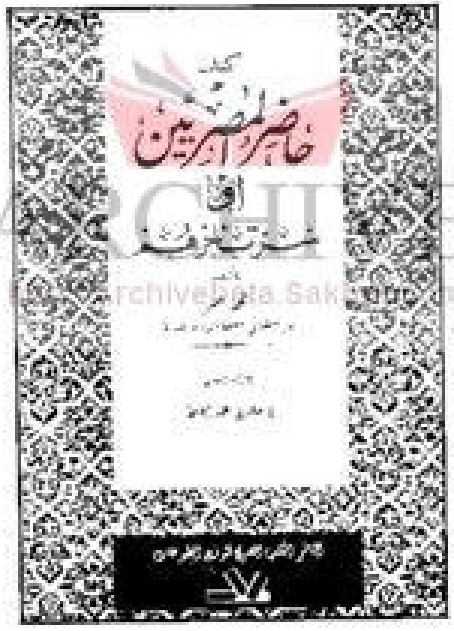

زالت أسباب ذلك التخلف، أم أنها مازالت قائمة؟

تناول مجدى عبد الحافظ فى مقدمته الظروف التاريخية التى صدر فيها الكتاب، فى أعقاب حركة ترجمة احمد فتحى زغلول لكتاب إدمون ديمولان «سر تقدم الإنجليز الأنجلو سكسونيين»؛ وتزكيته لعوامل تقدمهم، مقارنة بحال بلاده.

وفندت المقدمة بعض الادعاءات التى اثيرت حول مؤلف الكتاب محمد عمر، حيث ذكرت بعض الآراء انه اسم مستعار لأحمد فتحى زغلول، وذلك باستخدام أسلوب النقد الداخلى للوثيقة، حيث يستنبط من الكتاب الأدلة التى ينفى بها ذلك الراى، مستندا إلى طبيعة احمد فتحى زغلول فى الكتابة، واستخدامه للأسلوب غير المباشر،

عكس أسلوب الكتاب المباشر الذى يشير إلى أن صاحبه هو أحد أبناء الطبقة المتوسطة التى لا ينتمى إليها أحمد فتحى زغلول، كذلك اختلف تقييم محمد عمر عن تقييم أحمد فتحى زغلول لأحداث الثورة العرابية ونتائجها، مما يدل على أن المؤلف شخص آخر من مثقفى الطبقة الوسطى.

وناخذ على هذه المقدمة، عدم استخدام المصادر الوثائقية لمحاولة إثبات أن محمد عمر شخص حقيقى من موظفى البوستة، باستخدام الوثائق، وربما يعود ذلك إلى صعوبة إثبات ذلك من خلال المصادر الوثائقية.

أما أهمية الكتاب كما جاء بالمقدمة، فترجع إلى وضع المؤلف يده على مواطن الضعف فى المجتمع المصرى، ومحاولة تجاوز تلك السلبيات للانطلاق من نحو النهضة المأمولة لأبناء أمته، واستخدامه منهجا وصفيا، ليقدم ثروة من المعلومات والبيانات، ليكون كتابه شاهدا على عصره، إذ يرصد مظاهر الواقع المصرى من خلال الأرقام والإحصاءات والبيانات الدقيقة.

أما الترتيب الذى استخدمه محمد عمر عند معالجته للموضوعات، فكان ترتيبا تاريخيا من القديم للاحدث، وهيراركيا يبدأ من الغنى وحتى الفقير مارا بالطبقة الوسطى التى انتصر لها، فهى طبقته التى ينتمى إليها. وقد غلبت على كتابه النغمة الوطنية، خاصة فى بغضه للعثمانيين ونقده لسياساتهم التى عزى تخلف البلاد إليها، واقترن ذلك كله بتأييده للخديو والحكومة، كما أن كتابه قد صدر بإهداء لمصطفى فهمى باشا رئيس الوزارة المصرية، واقترن ذلك بمحاولة التوفيق بين العقل والدين من منظور متغير.

أما تناول محمد عمر لقضية المرأة، فبدأ بدفاعه عن قاسم أمين، ودعوته الإصلاحية، حيث وجد أن ارتقاء الأمم مرهون بارتقاء المرأة، كما دعا إلى تعليم المرأة، واعترض على تعدد الزوجات فى الطبقات الفقيرة فقط، وانتقد أسلوب الزفاف لدى تلك الطبقات الفقيرة.

أما قضية التربية فقد احتلت مساحة واسعة من تفكير محمد عمر، ورأى ألا تقتصر على المدارس، بل تمتد للبيوت، وتبدأ منذ حمل الطفل، حتى مراحل تعلم اللغة، وانتقد انتشار الجرائد التى تكتب باللغة الدارجة، مما يفسد لغة هؤلاء الأطفال، وانتقد عدم وجود مدارس ثانوية، ودعا الأغنياء للقيام بهذا العبء، حيث يقف الفقر بين الفقراء والتعليم، فيقتصر تعلمهم على الكتاتيب التى لا تقدم لهم شيئا من التعليم، إلى جوار سوء العناية الصحية.

ورأى محمد عمر أن الوطنية كانت سببا فى تقدم الغرب، لذلك يرى أن الغرب هو النموذج الذى ينبغى احتذاؤه دائما حتى نصل للنهضة المأمولة، وهو لهذا يقوم بنقل المناسب منه، ويستنكر نقل العادات القبيحة والتقليد الأعمى. نظرته إذن نظرة انتقائية يظل هدفها:بث العلم والمعارف والاهتمام بأمور الصناعة والزراعة بالأساليب الحديثة.

قسم محمد عمر الكتاب لثلاثة أقسام، جاء التقسيم تقسيما طبقيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بداه بما اسماه طبقة الأغنياء، عالج فيه تسع عشرة نقطة، ويقع فى تسع وستين صفحة، بداها بالحديث عن الأغنياء والعصبية، إلا انه صب حديثه على العصبية، وحدها، مهملا الحديث عن الأغنياء، ثم انتقل للحديث عن زواج الأغنياء ناقدا ما فيه من تبذير وترف، واصفا حفلات زواجهم، وتناول بعد ذلك المحبة بين الزوجين الغنيين، فذكر أن المحبة الزوجية مفقودة، والشقاق شامل فى أحيان كثيرة؛ إلا أن هذا الحكم ينطوى على قدر كبير من التعميم المخل. فهو يذكر أن العشرة بين الزوجين الغنيين وصلت لدرجة من الانحطاط، ويعتبر حديثه هذا عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين.

أما تربية الأغنياء لأولادهم فهى قائمة على الخدم، وأدبهم قائم على الخوف من آبائهم، لذلك فهم يتعلمون سرا بعض أنواع السلوك القبيح، أما تعليمهم فيتم فى مدارس مخصوصة بالمنزل أو المدارس الأميرية أو الأجنبية، وعزى سبب تأخر أولاد الأغنياء عن باقى التلاميذ فى المدارس إلى إرسالهم إلى المدارس فى سن أصغر من أقرانهم.

ويبدأ محمد عمر كلامه عن تعليم البنات بالثناء على تعليمهن لأنهن أساس الأمة وعمادها، ويذكر أن معظم تعليم البنات يتم فى المدارس المختصة بتعليم المسيحيات، ويُجدن اللغات الأجنبية اكثر من العربية، وقد عمم تلك القاعدة عند حديثه عن أولاد الأغنياء واللغة العربية، وربط بين اللغة والدين، حيث وجدهم لا يبالون بالآخرة، ويلتمس لهم عذرا بالمدنية الحاضرة، التى الهتهم عن الصلاة والزكاة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويواصل محمد عمر صب جام غضبه على الأغنياء حين الحديث عن المحبة الأخوية وصلة الرحم، حيث يصل لحكم يقرر فيه بأننا لو دققنا البحث ما وجدنا أثرا للمحبة بين الأخوة الأغنياء، وليس ثمة شىء يمكن التعبير عنه بالمحبة الأخوية بينهم، ولعل هذا حكم جائر بالطبع على تلك الطبقة، تنفى أن يكون محمد عمر من الأغنياء بحال من الأحوال.

وحين تحدث محمد عمر عن كرم الأغنياء فى الماضى وبخلهم فى وقته؛ فإنه يضع يده على نقطة اتسم بها سلوك الأغنياء فى مصر فى هذه الأثناء، حيث توقفوا عن القيام بالأعمال العامة، إذ كانوا فى الماضى يبنون المستشفيات، والمدارس، فتوقفوا عن القيام بذلك، ويقارن بين ما تم من أشغال عامة عن طريق الأغنياء فى الماضى، وما يتم فى عصره (١٩٠٢)، ويقارن بينه وبين ما يقوم به بعض الأجانب فى عصره، وينتقل للحديث عن هؤلاء الأغنياء فى نظر أبنائهم، الذين يتمنون لهم الموت ليرثوهم، وعن عادات الأغنياء فى المأتم، يستهجن استئجارهم للنادبات، ويرد تلك العادات إلى أصولها الفرعونية، كما بين سلوك الأولاد بعد أن يرثوا آباءهم، وكيف يبددون ثرواتهم فى المقامرة التى تعد من أشكالها كثيرا من الألعاب التى اندثرت ولم تعد موجودة اليوم.

يختلف أسلوب محمد عمر حين الحديث عن الطبقة الوسطى فى القسم الثانى من كتابه، هذا الجزء يقع فى مئة واثنتى عشرة صفحة، تناول فيها اثنين وثلاثين موضوعا مختلفة عما تناوله فى حديثه عن

الأغنياء، وهنا نلاحظ أولا زيادة عدد الصفحات التي أفردها للحديث عن أبناء الطبقة الوسطى، وزيادة الموضوعات التي تحدث فيها، فبدأ حديثه بمدح تلك الطبقة، وحاول إضفاء صبغة دينية عليها باستخدام الحديث النبوي «خير الأمور أوسطها».

وانتقل للحديث عن الأزهر والأزهريين، بادئا بالحديث عن تأسيس الجامع الأزهر وفترة إغلاقه، ثم انتقل للحديث عن أروقته وعدد طلابه من كل مذهب، ومقدار ما يصرف من جراية لطلابه، وهنا نلاحظ أنه يلجأ لقراءة المكتوب على مآذن الأزهر من جهة، والاطلاع على بعض الكتابات التي كتبها الأجانب عن الأزهر، كما ينشر بعض الإحصائيات الدقيقة عن الأزهر وطلابه حصل عليها من الشيخ محمد عبده، وينتقد عدم اهتمام الأزهريين بالمسائل العقلية، وطرق تعليمهم التي لا تهتم بإظهار المواهب العقلية للطلاب، إنما تهتم بالحفظ والتلقين.

أما حين يتحدث عن العلماء فإنه يقارن بينهم في الماضي وفي حاضره، ويلومهم على عدم استفادة الأمة منهم، ودعاهم إلى دعوة الناس للتمسك بالفضيلة، وصب جام غضبه على الوعظ والوعاظ، الذين هم في حاجة لمن يبين لهم ذلك الذي يعظون به، فيذكرون للناس السنن وينسون الفروض، مكملا غضبه على الفقهاء الذين يتلون القرآن وهم غير حافظين له تمام الحفظ ويستشهد بأقوال الشيخ على يوسف في ذلك، وواصل هجومه بعد ذلك على المحاكم الشرعية، فوصف مكانها بردائه، ووصف كتابها بالنقص في علومهم، أما القضاة فمعرفتهم الشرعية والنظامية لا تسر أحدا، وهكذا يرسم صورة دقيقة لتلك الفئات من المجتمع في ذلك العصر، بشجاعة تحسب له.

وينتقل محمد عمر للحديث عن المدارس والتعليم، فيمدح سياسة محمد علي التعليمية، ويعيد قدحه للأغنياء لعدم تبرعهم للمدارس، ويحصي المدارس الأهلية التي تم إنشاؤها، ومنها مدارس الإرساليات الأجنبية، ويذكر إحصاءات بأعداد تلاميذها، وينتقد عدم وجود مدارس ثانوية، كما يتحدث عن المدارس العالية في عصره، وكيف أنها قليلة.

ويتناول محمد عمر بعد ذلك الجمعيات القائمة، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية، وجمعية العروة الوثقى، وجمعية المساعي المشكورة، موضحا ظروف إنشائها ويدعو لإنشاء جمعيات للمحاماة والتجارة والصناعة.

ويتحدث محمد عمر بعد ذلك عن الطبقة الوسطى: من الموظفين، والتجار، والصناع، والزراع، فيصف كل مهنة من تلك المهن ويدعو للارتقاء بها، ويذكر عدد الكتب التي تطبع في المطابع، ويدعو للعناية بها، والإكثار من الكتب المفيدة، ويصف الحالة السياسية من خلال ما يتداوله الموظفون على مقاهيهم من أحاديث عقب شرائهم للجرائد، وينتقل للحديث عن الجرائد التي تصدر في تلك الفترة، وكذلك المجلات العلمية والدينية، ويعطي إحصاء بأعدادها وتخصصاتها، ويستقي تلك الإحصاءات من مصلحة البوستة، وهي مصدر

ARCHIVE

لا يستخدمه الدارسون لتاريخ مصر الحديث، وتتضح أهميته من ذلك الكتاب.

ويدعو محمد عمر المصريين إلى التمسك بوطنيتهم التي لا تتعارض مع الدين، ويدعو إلى اندماج عنصري الأمة من مسلمين وأقباط، و الابتعاد عن الفرقة و الفتنة.

ويحتل الفقراء القسم الأخير في كتاب محمد عمر، وقد خصص لهم عددا من الصفحات أقل من الطبقة الوسطى، وهو مئة وثلاث صفحات، عالج فيها واحدا وعشرين موضوعا، بدأها بتعريف الفقراء، فعرفهم بأنهم «الأمة كلها» وفي تعريف آخر للفقير المصري أنه الجاهل، وقد قصد من ذلك التعريف الثاني استصراخ الأغنياء لنجدتهم، وبدأ يبرز أحوال هؤلاء الفقراء الاجتماعية في شتى المجالات، بدأها بزواج الفقراء، فتحدث عن زواجهم صغارا في السن، وتحدث عن مراسم ذلك الزواج منذ الخطوبة حتى الزفاف على طريقتهم، والتي تمثل أقصى درجات المهانة للمرأة الفقيرة، وهنا نجد أن كاتبنا يهاجم تلك الطريقة في الزفاف والتي تشبه لحد كبير الاغتصاب الجماعي، ويستنكر تلك العادات القبيحة ويستند لآراء الأطباء في وصف أضرار ذلك الأسلوب، و هو الموظف بمصلحة البريد الذي يكتب عن هذا في أوائل القرن، مما يدل على مدى ثقافته ومدى الثقافة التي تمتع بها موظفو الدولة في هذا العصر، حيث استند في البرهنة على آرائه على آراء العلم الطبي، وليس بالاستناد على التقاليد والعادة.

كذلك يتحدث محمد عمر عن ظاهرة تفشت بين الفقيرات وهي قدرتهن على تطليق أنفسهن من أزواجهن، وهي قدرة لم تصل إليها المرأة المتعلمة في نهاية القرن، وهنا نجد محمد عمر يشير إلى كثرة قضايا الطلاق في المحاكم الشرعية، بل إنه يرد ظاهرة كثرة المشردين من الأولاد في الشوارع إلى انتشار الطلاق بين الفقراء، أي أنه يتابع الظاهرة منذ نشأتها ثم يقتفي آثارها ونتائجها، ويشيد بكتاب قاسم امين «تحرير المرأة»، وهو ما يدل على مدى ثقافته ومطالعته لكل ما يصدر من كتب.

ويتابع محمد عمر جولته فيعطينا المزيد عن طبقة الفقراء، فيصف أطفالهم، ويتحدث عن ظاهرة وفاة الأطفال، لسوء العناية بهم، ويتحدث عن الأساليب البالية في تعليم هؤلاء الأطفال، وطرق تخويفهم باستخدام الخرافات، وإهمالهم في نظافة أبنائهم، وهو يدعو لتربيتهم بلا تخويف والاهتمام بنظافتهم، وعدم تطبيب الأمهات لأطفالهن بأنفسهن، كما يستنكر طريقة تعليمهم في الكتاتيب، ويصف لنا تلك الكتاتيب وصفا دقيقا، وطرق التعليم فيها، ويتحدث عن دواوين وزارة المعارف، ويحصي عدد التلاميذ، ومقدار أجور العاملين، ناقلا هذه البيانات عن وزارة المعارف العمومية.

ويتجول محمد عمر بنا بين حرف الفقراء، واصفا إياها، كما يصف حرف النساء الفقيرات، ويصف حرف أزواجهن ايضا، ولا ينس ما يمارسه الأطفال من أعمال، وهو يصف لنا حال الصناع الفقراء، على قلتهم في البلاد في ذلك الوقت.

ويصف كاتبنا جهل الفقراء من المسلمين والمسيحيين بدينهم، ونراه

لا يفرق بينهما، ويقرر أن البدع والتعصب هي مما جد على الدين، فباعد بين المسلمين والأقباط، ولكنها ليست من جوهر الدين، وينتقل لوصف أهل الطرق الصوفية ويصفهم بالخبث، ويتهمهم بالتشنيع على الدين، ويستنكر ترويجهم لخرافات حول الأولياء، كالرفاعي والبدوي، كما أحصى عديدا من الموالد التي تقام في مدينة القاهرة، ذاكرا توقيتاتها، واصفا مايحدث فيها.

كذلك وصف لنا الكتاب أعياد الفقراء وكيف لا يشعرون بها، ويصف لنا ذلك التحول إلى السهر في المقاهي وسماع الناس لسيرة الزناتي وابن هلال، وكيف يتناولون المسكرات أكثر من الأغنياء، ويعدد لنا أنواع المسكرات التي يتناولها الفقراء، ويتناول تأثير ذلك على زيادة عدد المجانين، وينقل لنا جدولا كاملا به أعداد المجانين، وأجناسهم وأديانهم، وحرفهم، ويذكر في جدول آخر أسباب الجنون، وعلى رأسها الحشيش، الذي يتعاطاه الرجال والنساء، وإن كانت نسبة النساء أقل كثيرا.

ويواصل الكتاب عرضه لبعض العادات السيئة لدى الفقراء، مثل الزار، ويصف مراسمه، ويذكر أن بعض تلك الزارات كان يتم في المساجد،ولا ينس التذكرة بأن تلك الزارات ممنوعة شرعا، وكذلك قانونا، ومع ذلك يرى أنه لا أحد يقوم بمحاولة منعها.

أما وسائل علاج الفقراء، فيصف منها المستشفيات الحكومية، و مستشفيات الإرساليات الأجنبية، مثل المستشفى الفرنسي، والإيطالي، وتبرعات بعض الأغنياء الأجانب لتلك المستشفيات، وإنشائهم للملاجئ، ويقدم لنا صورة عن الأوقاف والغرض منها، ويوضح كيف يقوم ديوان الأوقاف بالإنفاق على موظفيه أكثر من الإنفاق على أوجه الخير للفقراء، ويستقي مصدره من بيانات ديوان الأوقاف نفسه.

يدفع الكتاب في النهاية قارئه إلى طرح كثير من التساؤلات حالما ينتهي من قراءته، أولا: كيف يمكن لأحد مستخدمي مصلحة البريد أن يتمتع بذلك الأسلوب اللغوي البليغ، البسيط في شكله، والواضح والعميق في مستواه؟!، وإذا كان ذلك حال أحد صغار الموظفين، فما نوع التعليم الذي تلقاه؟، وإن كان التعليم الأولي البسيط ينتج مثل هذا الكاتب في بداية القرن، فكيف تردى مستوى اللغة عند كثير من الجامعيين في نهاية القرن؟وكيف أصبح مستوى خريج الجامعة اليوم لا يرقى لمثل هذا الأسلوب بل لا يقارن به أصلا!

كيف يمكن لموظف بسيط من مستخدمي البوستة أن يجرؤ على كتابة كتاب كامل يحاكي به الكاتب الفرنسي **ادمون ديمولان** في كتابه «سر تقدم الإنجليز السكسونيين» الذي ترجمه **أحمد فتحي زغلول**؟، وكيف استطاع صياغة تأملاته تلك خلال رؤيته الثاقبة عن سر تأخر المصريين؟، كيف يمكن لموظف بسيط أن تكون له رؤية كاملة؟، وأن يحاكي بها كبار الكتاب!، وفي النهاية، شكرا للدكتور **مجدي عبد الحافظ** الذي أعاد نشر الكتاب وتقديمه، حيث هيأ لنا سياحة ممتعة مفيدة في طبقات مصر الاجتماعية في بداية القرن، لعلنا في نهايته ندرك سر تخلفنا!

ARCHIVE